Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وفى هذا القول قدر كبير من الصدق ، ولكنه يغمط الجانب التطبيقى فى تحليل النصوص حقه ، وهو يحتل مساحة واهتماما كبيرين ، لا نبالغ إذا قلنا إن هذا الجانب العملى هو أهم ما فى الكتابين معا ، فعبد القاهر – على أية حال – لم يبتدع تعريفات جديدة ، بل إن نظرية النظم التى يشاد به استنادا إليها فى الدراسات البلاغية الحديثة ، قد سبق (السيرافى) إليها[١٨] ، وتجلت مهارته فى البسط والتحليل ، فنسب القول إليه وإن لم يكن البادئ به ، كما يهمل الزعم السابق تداخل الأقسام فى الكتابين مما ينفى عن الرجل تحمل تبعة عزل البلاغة العربية عن التيار النقدى العام ، وتحويلها إلى قواعد وأطر مفرغة جافة .

لقد كان الذوق والإحساس بالجدة والابتكار هو أساس التقسيم فى دراسة مبكرة مثل كتاب البديع لابن المعتز (٢٩٦ هـ) الذى صدره بخمسة فنون مستجدة سماها البديع ، وهى تصنف الآن فى علمى البيان والبديع ، على أنها جميعا تقريبا تجنح نحو التصوير ، التجسيدى والصوتى والذهنى ، وإذا استحضرنا هذه الأقسام ، الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الأعجاز على ما تقدمها والمذهب الكلامى ، سنجد مصداق ما نقول . وبين اثنى عشر محسنا لم يعتبرها من البديع – وهذا يعنى أنها الأكثر تداولا فى أساليب القدماء – لانجد غير التشبيه والكناية يمكن أن يضافا من بينها إلى وسائل التصوير البيانى ، غير أننا سنجد أقساما أخرى من علم المعانى وعلم البديع يمكن أن تضاف مستكملة ما نعتبره « أنماط الصورة فى البلاغة العربية » متجاوزين ذلك التقسيم الشائع التقليدى الذى خص كل علم من علوم البلاغة بوظيفة من وظائف التعبير الفنى لا يراد له أن يتجاوزها ، وفى هذا جمود فى الرؤية ، وإنكار لتساند وسائل التأثير والتصوير كما سنرى ، وتعسف فى تشقيق الأثر الكلى للتعبير الفنى .

فهدف علم المعانى – عند هؤلاء – هو بيان مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، وكل ما يترتب على ذلك من تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء ، وما يتعلق بالخبر من خروج عن مقتضى الظاهر ، وخروج ضروب الجملة الإنشائية عن معاناها الأصلى ، ثم أحوال الإسناد . أما علم البيان فسبيله أن يعين على إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى درجة وضوح دلالتها عليه ، وأخيرا فقد خص علم البديع بتحسين الكلام . وهذا التقسيم مع المهام المنوطة به من فعل المتأخرين ، وقد رأينا معنى البديع عند ابن المعتز ، ورأينا بعضا من مباحثه مثل التجنيس والمطابقة تدرس إلى

(١٨) انظرعن هذا الموضوع تفصيلا : إبراهيم سلامة : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان ص ٦١ ، ٣٥٥ وهامشها ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ وقد توفى السيرافى سنة ٣٦٨ هـ وقد تحدث عن « معانى النحو » فى مناظرته لمتى بن يونس .